

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[370] وأرواحهم كانت مظلمة. وتقول الآية التالية تهديداً للكفار، وتسلية لخاطر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): (وإِمْ مَّا نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإِ لينا مرجعهم ثمَّ إِ شَهِيد على ما يفعلون). وتبيِّن الآية الأخيرة من الآيات مورد البحث قانوناً كلياً في شأن كل الأنبياء، ومن جملتهم نبي الإسلام(صلى الله عليه وآله وسلم)، وكل الأمم ومن جملتها الأُمَّة التي كانت تحيا في عصر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، فتقول: (ولكل أُمَّة رسول) فإِ ذا جاء رسولها وبلغ رسالته، وآمن قسم منهم وكفر آخرون، فإِ نَّ إِ سبحانه يقضي بينهم بعدله، ولا يظلم ريِّك أحداً، فيبقى المؤمنون والصالحون يتمعون بالحياة، أمَّا الكافرون فإِ نَّهم فمصيرهم الفناء أو الهزيمة: (فإِ ذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون). وهذا ما حصل لنبي الإسلام(صلى الله عليه وآله وسلم) وأُمتة المعاصرة له، فإِ نَّ أعداءه هلكوا في الحروب، أو انهزموا في النهاية وطردهوا من ساحة المجتمع وأخذ المؤمنون زمام الأُمور بأيديهم. وبناء على هذا فإِ نَّ القضاء والحكم الذي ورد في هذه الآية هو القضاء التكويني في هذه الدنيا، وأمَّا ما احتمله بعض المفسِّرين من أنَّه إِشارة إِلى حكم الله يوم القيامة. فهو خلاف الظاهر. * * *